Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(8), June 2018

Article History		
Received/Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online / Yayınlanma
12 /5/2018	5 /6/2018	10 /6/2018

دور الدولة العثمانية في حماية قوافل الحج

أ. د. حسين فلاح الكساسبة

أستاذ التاريخ الإسلامي / جامعة مؤتة / الأردن

الملخص

عالجت هذه الدراسة دور الدولة العثمانية وجهودها في حماية قوافل الحج عندما حكمت البلاد العربية وأصبحت الأماكن المقدسة تحت نفوذها. وقد ركزت الدراسة بشكل خاص على قافلة الحج الشامي كنموذج لباقي قوافل الحج الأخرى المختلفة. وقد تناولت الدراسة نقاط رئيسة متعددة مثل: اهتمام الدول الإسلامية في قافلة الحج الشامي قبل العثمانيين، وعناية الدولة العثمانية بقافلة الحج، والتحضيرات والمراسم للقافلة في الذهاب والإياب، والمشاكل التي عرضت للحجاج في طريقهم للحرمين الشريفين، والجهود التي بذلتها السلطة العثمانية في حماية وتأمين قافلة الحج، هذا بالإضافة إلى النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية : تاريخ، الدولة العثمانية، قافلة الحج .

The role of the Ottoman State in protecting Hajj Caravans

Abstract

This study dealt with the role of the Ottoman Empire and its efforts in protecting Hajj caravans when the Arab countries ruled and the holy mosques became under their influence. The study focused particularly on the Shami pilgrimage caravan as a model for the rest of the other pilgrimage caravans. The study dealt with several main points, such as: the interest of the Islamic countries in the Hajj pilgrimage before the Ottomans, the care of the Ottoman state in the Hajj caravan, the preparations and ceremonies for the caravan in the coming and coming, the problems presented to the pilgrims on their way to the two holy mosques, and securing the pilgrimage caravan, in addition to the conclusion and recommendations.

دور الدولة العثمانية في حماية قوافل الحج

أ. د. حسين فلاح الكساسبة

المقدمة

كانت مكة المكرمة قبل ظهور الإسلام مركزاً دينا يحج إليه الناس منذ بناء الكعبة على يد إبراهيم عليه السلام. وكان العرب في جاهليتهم يقومون بتأدية تلك العبادة الدينية بما يتناسب مع فطرتهم ويتواءم مع معتقداتهم، وعندما أشرق الإسلام بنوره وأضاء ظلمات الجاهلية، أصبح الحج إلى بيت الله الحرام فريضة على كل مسلم. حيث أخذ المسلمون يتوافدون إلى الديار المقدسة لأداء هذا الفريضة [1]، عبر عدّ دروب (طرق) رئيسة تأتي من أنحاء الدولة الإسلامية.

وكانت لكل درب من هذه أيام عز ومجد بحسب الدولة المسيطرة. ففي أيام الأمويين كانت بلاد الشام بموقعها الجغرافي مركز تجمع للحجاج القادمين من تركيا وسائر البلدان الإسلامية الشرقية. وفي عهد الدولة العباسية كان الركب العراقي هو الأساس فيجتمع فيه حجاج المشرق وفارس والعراق والشام لأمانه وتوفر الخدمات كالبرك والاستراحات، واستمر حتى انهارت الدولة العباسية. وكان للركب اليمني أهميته أيام بني رسول حيث تأتي معه الكسوة والخيرات لأهل مكة في القرن السادس الهجري. وفي أيام المماليك كان الركب المصري هو الأهم. وبعد سيطرة الدولة العثمانية على البلاد العربية عاد المجد إلى درب الحج الشامي لأنه طريق القافلة العظمى للعالم الإسلامي [2]. وقافلة الحج الشامي هذه موضوعنا ومدار حديثنا التالي. فهذه القافلة الأنموذج لباقي قوافل الحج الأخرى.

ويبدأ مسار هذا الطريق من دمشق و يمر ببصرى الشام (درعا) ، و بمنازل أخرى أهمها أذرعات ، ومعان والمدورة (سرغ) ثم يدخل الأراضي السعودية ، و يمر على حالة عمار ، ثم ذات الحاج ثم تبوك ، ثم الأخيضر ثم المعظم ثم الأقرع ، ثم الحجر ، ثم العلا فعبر وادي القرى [3].

وكان هذا الطريق مطروقا أيام الأمويين والعباسين، وقد ترك القاضي وكيع (ت 304هـ) وصفا لمراحل الطريق في أيامه بقوله: "طريق أهل الشام: من دمشق إلى الصنمين ومن الصنمين إلى أذرعات ومن أذرعات إلى الزرقاء ومن الزرقاء إلى القسطل ومن القسطل إلى قبال ومن قبال إلى بالعة ومن بالعة إلى الحفير ومن الحفير إلى معان ومن معان إلى ذات المثار ومنها الى المغيثة ومنها الى سرغ ومن سرغ الى تبوك ومن تبوك الى المحدثة ومن المحدثة الى الأقرع ومن الأقرع الى الجنينة ومن الجنينة الى الحجر ومن الحجر إلى وادي القرى ومن وادي القرى إلى السقيا وبها يلتقي الطريق (يقصد الشامي مع طريق مصر الداخلي،) ومن السقيا الى عتاب ومن عتاب الى المروة ومن المروة الى المر ومن المر الى السويداء ومن السويداء الى الأراك ومن الأراك الى ذي خشب ومن ذي خشب الى المدينة. لكن هذا الدرب انقطع مابين القرن الرابع والقرن السابع حين انهارت الدولة العباسية وسيطر الفاطميون وتواجد الصليبيون في بلاد الشام [4].

اهتمام الدول الإسلامية في قافلة الحج الشامي

إن فريضة الحج ركن من الأركان الأساسية في الإسلام وان من مهمات الدين وشرائع المسلمين بعد الصلاة الحج إلى بيت الله الحرام، وقد قيض الله سبحانه وتعالى لخدمة الأماكن المقدسة وفي كل العصور الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والأعيان للقيام بتلك الخدمة الجليلة[5] ، فكان الخليفة أبو بكر الصديق أول من حج بالمسلمين في حياة الرسول (ص) سنة ٩هـ/ ٦٣٠ م حيث وكل إليه الرسول الخروج بالحجيج ، ومنع الكفار من الاشتراك فيه، وفي العام التالي ترأس الرسول الحجيج بنفسه وعرفت هذه الحجة بحجة الوداع [6]، ومنذ

1 محمد رفعت أحمد زنجير، في الطريق إلى مكة المكرمة ص4-6

1-https://www.marefa.org/index.php

3 في القرون الثلاثة الأولى كان درب الحج الشامي يسلك من وادي القرى الى السقيا ثم الى بلدة ذي المروة ثم عبر وادي الحمض الى السويداء ثم الى الفحلتين ثم ذو خشب ثم المدينة. وحصل تعديل بسيط في الدرب منذ القرن السابع الهجري حيث ان الركب من بعد وادي القرى لا يسلكون وادي الحمض بل يذهبون الى مغيراء ثم زمرد، ثم بالبئر الجديدة ، ثم هدية ، ثم الفحلتين ، ثم آبار نصيف ، ثم الحفيرة واصلا إلى طابة الطيبة. ولعل السبب هو ان البلدات التي كانت قائمة على ضفاف واديي الجزل والحمض كلها هجرت وخربت فليس من فائدة للركب في سلوك تلك الأراضي الموحشة http://alsahra.org/?p=1024

4 محمد بن خلف وكيع (ت 304هـ)، أخبار القضاة http://alsahra.org/?p=1024

5 سميرة فهمي علي عمر ، إمارة الحج في مصر العثمانية، (923-1213هـ/ 1517-1798) القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠١ ، ص ٦٧

6 عبد الملك المعافري بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٥٥ ، ج4 ص 188

ذلك الحين اهتم الخلفاء والملوك بالحج ، فقد حرص الخلفاء الراشدون على أداء فريضة الحج[1]، وكذلك خلفاء بني أمية وبني العباس في عصرهم الأول[2].

وكان الحجاج يواجهون مشاق السفر والترحال للوصول إلى مكة المكرمة، مما جعل الخلفاء يهتمون بطرق الحج ومسالكه، وظهرت في الدولة الإسلامية وظيفة أمير الحج الذي يقوم برعاية الحجاج وتأمين وصولهم إلى مكة وعودتهم منها. فكان الخليفة أبو بكر أول من لقب بأمير الحج في حياة الرسول (ص)[3]. ومن مظاهر اهتمام الخلفاء الراشدين بطرق الحج، أنهم أقاموا محطات على الطرق، وحددوا المسافات بين هذه المحطات، ، وتعود أقدم هذه الإصلاحات إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/ 644-634م). فقد قام واليه على البصرة، بحفر آبار على طول الطريق من البصرة إلى مكة، وتم حفر عيون في فيد لإرواء الحجاج[4]. كما بُذلت عناية خاصة بالطريق ما بين المدينة المنورة ومكة المكرمة[5].وبُنيت الاستراحات في المدينة المنورة، ليتمكن الحجاج من النّزول بها خلال سفرهم[6]. وتنافس الأغنياء في خدمة الطرق ووقف المشاريع الخيرية عليها لتوفير الراحة[7].

وقد أولى خلفاء بني أمية قافلة الحج الأهمية البالغة فقد أنفقوا الكثير في الإصلاحات على الطرق، وأنفقوا أكثر على بنيان الأماكن المقدسة وبخاصة الحرمين الشريفين[8]. وجرى الاهتمام بطرق الحج، فقد أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى عاملة في مكة أموالا، ينفقها ينفقها لكل من تضرر من جراء الأمطار التي ألحقت ضرراً بالحجاج[9]. وفي سنة 91هـ/ 709م حج الخليفة الوليد بن عبد الملك بالناس من دمشق واهتم بطريق الحج الشامي، وكان يوزع الأموال والدقيق على القبائل التي تقطن على جوانب الطريق، وكذلك أمر بحفر بعض الآبار[10]. وكتب إلى عماله في جميع البلاد بإصلاح الطرق وعمل الآبار، كما وزع أموالاً طائلة على أهل مكة أثناء حجه[11]. وكان الوليد بن يزيد يقيم في زيزاء ويطعم من صدر من الحج ثلاثة أيام. وفي سنة 97هـ/ 715م حج بالناس سليمان بن عبد الملك، وقد أمر من معه بتوزيع الطعام على الحجاج [12]. واهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز، بطريق الحاج الشامي، وبشؤون الحاج[13]، وأرسل إلى عامله على اليمن أن أقعد على طريق الحاج قوماً ترضاهم، وترضي دينهم وأماناتهم لكي يقووا الضعيف، ويغنوا الفقير"[14]. وكان عمر بن عبد العزيز يأمر الناس ليلة هلال المحرم بإيقاد النار في حاج مكة، ويضيئون المصابيح للحجاج مخافة السرقة[15]. وذلك لبعث الطمأنينة والأمان في نفوس حجاج بيت الله. واهتم الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ) بطرق الحج إذ زودها بالمياه والمنافع خاصة بين دمشق ومكة[16].

كما لقي الحجاج عناية الخلفاء، العباسيين الذين اهتموا بإصلاح طرق القوافل، وحفر الآبار في الطريق بين تبوك والعلا وبناء القصور بطريق مكة[17]. فقد اهتم الخليفة أبو العباس بقافلة الحج الشامي، وأمر بحفر الآبار لسقيا الحجاج[1]. وحج الخليفة أبو جعفر

---

(1) الجزيري، **الدرر**، 253/1؛ ، محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة، دار المعارف، 1997، 69/4.
2 سميرة فهمي، إمارة الحج، ص67
3 ابن هشام ، السيرة النبوية، ج4 ص 188
(4) درادكة، **طرق الحج**، ص260.
(5) الجزيري، **الدرر**، 253/1؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، 69/4.
(6) زنجير، **في الطريق** ص4-6.
(7) الشافعي، **الأم**، القاهرة 1968، 279/3؛ درادكة " طرق الحج"، **المؤتمر الدولي**، ص437.
(8) درادكة، **طرق الحج**، ص75.
(9) علي بن الحسين المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، القاهرة، مكتبة السعادة ، 1964، 128/3؛ ابن عز الدين أبي الحسن بن المكرم الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، دار صادر، د. ت.، 452/4؛ درادكة، **طرق الحج**، ص260.
(10) ابن الأثير، **الكامل**، 455/4.
(11) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1955م، ص30.
(12) الطبري، **تاريخ**، 217/7.
(13) أحمد بن واضح اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، النجف، ص1964، 305/2؛ ابن الأثير، **الكامل**، 328/4.
(14) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر بن عبد العزيز**، ص65-66.
(15) الازرقي، **أخبار مكة**، 287/1، 592/2.
(16) درادكة، "طرق الحج"، ص439.
(17) اليعقوبي، **تاريخ**، 389/2.

المنصور بالناس سنة 137هـ/ 754م، وفي طريق عودته عاد مع الركب الشامي وأمر بإصلاح الطريق، كما أمر ببناء المساجد فيه، وواصل العودة مع الركب الشامي حتى دخل بيت المقدس [2]. وأمر واليه على الشام (صالح بن علي) بتعمير طرق الركب الشامي[3]. وأمر الخليفة المهدي بعمل محطات للبريد في طريق الركب الشامي، وأمر ببناء القصور بطريق مكة [4]، كما أمر باتخاذ المصانع في كل منها، وتجديد الأميال، وبعث ابنه الهادي فحج بالناس سنة 161هـ/ 777م[5]. وكتب أمير الحج في سنة210هـ/ 825م صالح بن العباس إلى الخليفة المأمون يستأذنه في عمل البرك في طريق الحج الشامي، فوافقه على ذلك، وطلب منه أن يجدد بناء المحطات، وان يقوم بحفر الآبار وإصلاح القديم منها[6]. وقام يحي بن هرثمه بولاية الطريق بين المدينة ومكة سنه 234هـ/ 848م في خلافة الواثق (227-232هـ) [7].

واهتم الفاطميون بإمرة الحج وقوافله، فكانوا يقدمون كل ما هو ضروري للحجاج من حراسة وخفارة ونفقات، كما قاموا بتعين أميرا للحج يفوض إليه الأمر رسميا من قبل الخليفة بكتاب خاص يتضمن كل الواجبات التي عليه القيام بها[8]، وأمّن السلاجقة طرق الحج، وأقاموا أحواض المياه، وحفروا الآبار على الطرق، وصرف نفقات باهظة للقبائل التي تعترض سبيل الحاج على طول الطريق. وأبطلوا المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج[9]. وفي سنة 555هـ/ 1160م حج نور الدين محمود زنكي سالكا طريق الشام، وأمر بتوزيع الصدقات على سكان الطريق[10]. وكان يبعث العساكر لحفظ المدينة النبوية، واقطع أمير مكة إقطاعا، وأقطع أمراء العربان اقطاعات لحفظ الحاج فيما بين دمشق والحجاز[11]. وفي سنة 572هـ أبطل صلاح الدين المكس الذي كان يؤخذ من الحاج في البحر إلى مكة، على طريق عيذاب، وكانت سبع دنانير ونصف مصرية [12].

واهتم سلاطين المماليك بأمور الحجاج وتنظيم قيام ركبهم وفق مراسم خاصة. فقد تطورت قافلة الحج المصري وزاد عدد حجاجها، حتى بلغ في بعض السنين ما يزيد على مائتي ألف[13]. وكانت تزود القافلة بكل احتياجاتها المعاشية والطبية والمجبرين والإدلاء، والأئمة والمؤذنين، وغيرهم، وكان حجاج الشام الذين يأخذون الطريق على أيله (العقبة) يلتقون مع الركب المصري ويستفيدون من خدماته[14]. واصدر السلطان الاشرف برسباي اوامره، بمنع الباعة من مضايقة الحجاج ببسط بضائعهم أيام موسم الحج في المسجد الحرام، ومنع الناس من ضرب الخيام بالمسجد على مصاطبه، وذلك حرصاً على راحة وسلامة حجاج بيت الله الحرام[15]. وحرص المماليك على عمل إصلاحات في الطريق كإزالة العقبات وتمهيد وتوسيع بعض الممرات، وإصلاح أبار المياه على طول الطريق[16]. كما قاموا في عهد السلطان الناصر محمد

---

(1) اليعقوبي، **تاريخ**، 352/2؛ سليمان عبد الغني مالكي، "طريق حجاج الشام ومصر، منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري" **مجلة الدارة**، الرياض، (1984م)، ع1ص10.
(2) ابن الأثير، **الكامل**، 459/5.
(3) المصدر نفسه، 480/5.
(4) الجزيري، **الدرر**، 287/1.
(5) الطبري، **تاريخ**، 162/8؛ المقريزي، **الذهب**، ص45.
(6) الطبري، **تاريخ**، 614/8.
(7) الطبري، **تاريخ**، 163/9.
(8) سليمان خرابشة، **التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز**، اربد 1999، ص104.
(9) خرابشة، **التنافس السلجوقي** ، ص94-95.
(10) الجزيري، **الدرر**، 348/2.
(11) المقريزي، **الذهب**، 69، 75.
(12) الجزيري، **الدرر**، 359/1.
(13) العبدري، أبوعبدالله، **الرحلة المغربية**، الرباط، 1968م، ص156.
(14) المقريزي، **الذهب**، ص98-102.
(15) المقريزي، **السلوك**، 754/4؛ التهامي، "الإصلاحات المملوكية"، ص89.
(16) التهامي، "الإصلاحات المملوكية"، ص88.

بن قلاوون بالتوجه إلى أيله، لتوسيعها وإزالة وعرها وتسهيل صعودها على الحجاج[1]. واهتموا بالأسواق، التي كانت تقام حيث يستريح الحجاج على طول الطريق، وكان سوق العقبة من أعمر وأوسع هذه الأسواق[2]

ثانيا: عناية الدولة العثمانية بقافلة الحج

الحج إلى مكة المكرمة واجب على جميع المؤمنين القادرين مادياً على أدائه ، باعتباره ركناً أساسياً من أركان الدين الإسلامي، ولما كانت تلك المهمة صعبة وشاقة على الدوام وليس بمقدور الأفراد القيام بها ، لذلك ظهرت الحاجة إلى القوافل التي تنظم وصول الحجاج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة بكل سهولة ويسر. وكانت تلك القوافل من الضخامة من حيث العدد والعدة، وما يتخلل رحلة الحج من مخاطر ومصاعب ظهرت الحاجة في العصر العثماني إلى استحداث منصب أمير الحج الذي أخذ على عاتقه تأمين طريق قافلة الحج من هجمات البدو، وتأمين المؤن وكافة المستلزمات الأخرى لوصول القافلة إلى بيت الله الحرام في الوقت المحدد لها[3]، فكانت الدولة تشرف على على إدارة شؤون قوافل الحج الأربع الرئيسة: قافلة الحج الشامي، وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان وحجاج استانبول نفسها، ثم قافلة الحج المصري وتضم حجيج مصر وشمال أفريقيا، ثم قافلة الحج العراقي وتضم حجاج العراق وفارس وما وراء النهر والأفغان، ثم قافلة الحج اليمني وتجمع حجيج اليمن وماليزيا واندونيسيا[4].

حرصت الدولة العثمانية على إعداد قوافل الحج وعدته مظهراً من مظاهر قوتها السياسية، وتأكيداً لزعامة السلطان العثماني على العالم الإسلام، أما من الناحية الدينية فان الدولة العثمانية كانت تنظر إلى الحج على أنه ركن أساسي من أركان الدين الإسلامي، ولكونها ولي الأمر في ذلك وأنها حامية الإسلام والمدافع الحقيقي عنه ، لذا فان من واجبها الشرعي تنظيم الحج إلى الحجاز والإشراف عليه[5]، فقد اتخذ السلطان العثماني لقب حامي الحرمين الشريفين، واقتضى ذلك تأمين سلامة الحجاج الذاهبين لزيارة الحرمين الشريفين[6]. لذلك عاد المجد إلى قافلة الحج الشامي، فأصبحت دمشق مركزاً للحجاج القادمين من آسيا، وأوصت الحكومة العثمانية ولاتها بمعاملة الحجاج غير العرب، معاملة حسنة، وتأمين الحماية لهم على طول طريق الحج[7]. فقد كان هذا الطريق هو طريق القافلة العظمى للعالم الإسلامي في عهد العثمانيين، فكان ينضم إليه، العراقيون والإيرانيون وأهل القوقاز ومسلمو الأناضول وأوروبا لأمانه وتسهيلاته[8]. واقتضى ذلك تأمين سلامة سلامة الحجاج الذاهبين لزيارة الحرمين الشريفين[9]. لهذا قامت الدولة العثمانية بتكليف والي دمشق بإعداد قافلة الحج الشامي، وقيادتها وحفظ أمنها واستقبال القافلة عند عودتها[10]. كما اهتمت بأمن طرق الحج، وشددت على حراستها، وأقامت القلاع والحصون والخانات والبرك. وبنت الجسور ورممت القديمة منها حتى لا يقع ضرر أو سوء على الحجاج، ولدرء خطر البدو وقطاع الطرق واللصوص الموجودين على الطرقات. وكذلك قامت بتكليف قوات عسكرية ونشرها على طول الطريق، وقامت أيضا بإرسال الأوامر إلى كل والٍ وحاكم بتامين

(1) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1973م، 353/2.
(2) العبدري، **الرحلة**، ص157-166 .
3 علي كامل حمزة السرحان، "إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا واحمد باشا (1704-1747)"، مجلة مركز بابل، مج2 ع1، 2012، ص 92-120، ص92
4 عبد العزيز الشناوي ،٥٩ ؛ ليلى الصباغ ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، دمشق ، مطبعة ابن حيان ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٢
5 عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون (1516-1916)، دمشق ١٩٧٤ ، ص ٣٢٨
(6) رافق، "قافلة الحج"، **دراسات تاريخية**، ص5.
(7) عبد الكريم رافق، "قافلة الحج الشامي"، **مجلة دراسات تاريخية**، (1984م)، ع6، ص5.
(8) في سنة 971هـ/ 1563م حجت الملكة سلطانم بنت موسى زوجة الشاه طهماسب إسماعيل ملك العجم في محفة وجمال كثيرة بصحبة الحاج الشامي.

الجزيري، **الدرر** 727/1.
(9) رافق، "قافلة الحج"، **دراسات تاريخية**، ص5.
(10) لورنس الحسن البرهو السوسي، "قافلة الحج الشامي وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام (1220-1327هـ/ 1805-1909م)"، رسالة ماجستير، جامعة دمشق 2007م، ص24.

الحماية للقافلة حين تمر في منطقة نفوذه، وقامت باستمالة البدو واسترضاهم وشراء ولائم[1].

اهتم السلطان سليمان بسلامة الحج وله عدة انجازات في هذا المجال، منها: بناء القلاع وإرسال الحاميات لحراسة الحج، ثم استمر العثمانيون بالقيام في تسهيل درب الحج الشامي في عهدهم الذهبي ولكن مع الوقت ضعفت الحكومة العثمانية وتزايد إهمال الولاة لواجباتهم فتم إفساد كثير من المنجزات وخربت القلاع ونقص الجنود الحماة وتلاعب الباشاوات بالصرر العائدة للقبائل ورد هؤلاء لضعف دينهم بنهب الحجيج فعاد كل هذا بالوبال على ضيوف الرحمن المساكين.

التحضيرات والمراسم لقافلة الحج الشامي في الذهاب والإياب

كان احتفال قافلة الحج يتم ضمن طقوس معينة وتجهيزات على مراحل، يشارك فيها أهالي دمشق، على اختلاف فئاتهم. وأول عمل يقوم به أمير القافلة، هو تجهيز الأموال والمعدات والمؤن. وهذا يسبق خروج الحجاج من دمشق، بنحو ثلاثة أشهر، وهو ما يسمى بالدورة[2]. وفي السابع من شوال من كل عام، يُقام الاحتفال بموكب الزيت والشموع التي سُترسل إلى الحرمين الشريفين. وكان يُؤتى بالزيت من قرية كفر سوسة. وكان ذلك ضمن احتفال كبير يمتد من مكان جلب الزيت حتى في منطقة السنجقدار، حيث يوضع الزيت إلى جانب أدوات الحج الأخرى. أمّا الشموع فكانت تصنع في بيت أحد ذوات دمشق، بقصد البركة. وكذلك كان يؤتى بها إلى مركز الكلار (بيت المؤنة) في موكب خاص[3]. أما الكسوة الشريفة فقد كانت تصنع من قِبل صنّاع مهرة يقيمون بدمشق ويتقاضون رواتبهم من الدولة. ويلي هذا الموكب موكب المحمل، وهو يبدأ في الثامن من شوال، حيث تقوم دورة منتظمة في مدينة دمشق، ويكون يوم حافل، حيث تعطل الأعمال في الدوائر الحكومية وفي أغلب الأسواق. وكان يحضر أُناس من خارج دمشق للاشتراك بهذا الموكب العظيم، بالإضافة إلى الأهالي، وجميع مسؤولي الولاية ويكون تحرك هذا الموكب من السنجقدار إلى طريق الشاغور، فباب كيسان، باب شرقي، سيدنا بلال، برج الروس، السادات، العمارة، السرايا حيث يوضع السنجق مع المحمل[4]، استعداداً لخروج القافلة باتجاه الحجاز. ويكون ذلك ما بين 15-17 شوال من كل عام[5].

ومع بزوغ فجر هذا اليوم، اجتمع أهل دمشق وجميع الحجاج الذين تجمعوا فيها، من جنسيات مختلفة، مستعدين لمسير القافلة التي يتم تحركها من باب مصلى، إلى طريق الميدان. وفي الطريق حتى الحرمين الشريفين، قامت الدولة العثمانية بإنشاء الخانات والجسور والمخافر والحصون والقلاع وكذلك حفر الآبار على مراحل الطريق وذلك كله من أجل المحافظة على قافلة الحج وإيصالها بسلام[6]. وكان يرافق أمير الحج، العديدُ من الموظفين. ومهمة هؤلاء تسيير وتسهيل سير هذا الركب، وهم: سقاة، عكامة، مشاعلية، مقوَّمون، قضاة، مؤذن، قوات عسكرية، وغيرهم. وكذلك، كان يرافق أمير الحج أمير الصرة، ومهمته توزيع الهدايا على مستحقيها من البدو وأهالي الحرمين ومخصصات المحافظين على القلاع والعاملين على الآبار والبرك الواقعة على طريق الحج[7].

وبعد الانتهاء من مراسم الحج يتجمع حجاج دمشق ومن انضم إليهم من باقي الدول الإسلامية، استعداداً للعودة. وفي هذه الأثناء، تقوم دمشق بتجهيز قافلة صغيرة، فيها كل ما يحتاجه الحجاج من مأكل وملبس (كعك، زبيب، حلويات، لباس) وغير ذلك من الضروريات.

---

(1) السوسي، **قافلة**، ص92.

2 الدورة: هي جولة تفتيشية يقوم بها الباشا مع بعض جنوده في رجب أو في لجمع المال من سكان المناطق الجنوبية من الولاية ليستعين بهذه الأموال في إعداد قافلة الحج والمحمل، ثم يعود إلى دمشق في أوائل شوال. البديري، احمد، حوادث دمشق اليومية، دار سعد الدين ط1، دمشق1997، ص66

3 نعيسة، يوسف، مجتمع مدينة دمشق1186-1256/1772-1840، ط2، دار طلاس، دمشق 1994، 666/2

4 نعيسة، مجتمع 668/2

5 البديري، حوادث 68

6 سوسي27

7 صابان، سهيل ، "مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢ هـ /١٧٧٨ م "، مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، ع٢٠، 1428-1429، ص2، 5.

دور الدولة العثمانية في حماية قوافل الحج

أ. د. حسين فلاح الكساسبة

يرافق هذه القافلة بعض العسكر، لمساعدة قافلة الحج، إذا ما تعرضت لاعتداء. وكانت هذه القافلة تسمى قافلة الجُردَة[1]. وإبان عودتها وقبل وصول الحجاج إلى دمشق بعدّة أيام، يكون قد سبق القافلة الجوخدار[2]، للتبشير بسلامة قافلة الحج وقرب وصولها إلى دمشق[(1)]. وعند ذلك يخرج الناس لملاقاة ذويهم، ربما إلى خان دنون أو أبعد من ذلك. وفي السادس من شهر صفر يدخل المحمل الشريف دمشق، يرافقه موكب عظيم. أما بالنسبة للحجاج الغرباء، فكانوا يتابعون مسيرهم باتجاه أوطانهم أو يقومون بالاستراحة عدة أيام في دمشق، وبعدها يتابعون سفرهم إلى بلادهم[3].

إلى جانب أمير الحج وجد أمير الجردة، الذي عرف أيضا بلقب باشا الجردة وأمير الملاقاة. تختار الدولة العثمانية أحد وزرائها أو أحد ولاتها ويدعى (سردار الجردة) لإعداد قافلة الجردة، وهي قافلة مؤن تُعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى بلاد الشام خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفد، ويصحب الجردة عدد من الجند لحراستها وتغادر الجردة دمشق في شهر ذو القعدة أو ذو الحجة وابعد نقطة وصلت إليها لملاقاة قافلة الحج هي هدية[4]. وفي يومي إقامة الحاج والجردة في هدية، يكون الحجاج ضيوفا على قافلة الجردة ثم تعودان القافلتان معا إلى دمشق ولكن تسبق قافلة الجردة قافلة الحج ببضعة أيام وتستغرق الجردة في الذهاب والإياب حوالي خمسون يوما[5].

مما تقدم نجد أن العثمانيين قد اهتموا بقوافل الحج، وجعلوا من أولويات مسؤولياتهم، الحفاظ على قافلة الحج، والاستمرار في إرسالها إلى الأماكن المقدسة سالمة. وكذلك اهتموا بإرسال المحمل الذي أصبح رمزاً لقوافل الحج في مسيرها وفي تحركها. والحفاظ عليه وحمايته كانا من الأشياء المهمة التي قاموا بها. وقد اقترن كل محمل بقوة الحكومة التي كانت ترسله؛ ففي العهد العباسي كان للمحمل العراقي، شأنه الكبير وأبهته الخاصة. وفي العهد المملوكي، كان للمحمل المصري، أهميته الخاصة واستقباله الخاص في مكة والمدينة. أما في العهد العثماني، فقد أولت الحكومة العثمانية اهتمامها الكبير بالمحمل الشامي الذي كان يجهز ويرسل من دمشق. وبالإضافة لهذه المكانة الهامة للمحمل، فقد كان لمصر شرف التفرُّد في إرسال كسوة الكعبة مع المحمل في كل عام. أما المحمل الشامي، فكان يُرسل معه ماء الورد، لتضميخ الحرم النبوي الشريف، وكذلك الشموع والزيت، لإضاءة الحرمين الشريفين[6].

وعندما سيطر العثمانيون على مكة رفعوا ذلك الحظر وسمحوا للمحمل اليمني بالقدوم اعتبارا من سنة 964 هجرية واستمر محمل اليمن مع المحمل الشامي والمحمل المصري الذي ظل يرسله المماليك في ظل الحكم العثماني حتى استقلال اليمن عن الدولة العثمانية بزعامة الأئمة الزيديين وخلافا لما جرت عليه عادة العثمانيين من تغيير لشعارات المماليك وعاداتهم وسلوكهم فقد أبقوا محمل الحج وجهّز السلطان سليم محملين كبيرين من دمشق والقاهرة بعد ضم بلاد الشام ومصر إلى الدولة العثمانية واتبع ذلك بمحمل ثالث باسم الخليفة العثماني السلطان ليؤكد سيطرة العثمانيين وحمايتهم للحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة وانتزاع الأمر من المماليك. وكان المحمل العثماني مكسو بقماش مخملي أخضر كتبت عليه آيات من القرآن الكريم ويحمله جمل عليه حلة مزركشة بأنواع الأقمشة والجلود وقد خيطت عليه الأصداف الصغيرة والمرايا. ولقد استمر خروج المحمل الشامي مع بعض الانقطاع حتى قيام الحرب العالمية الأولى. في حين منع المحمل المصري من دخول مكة سنة 1345هـ/1936م لما كان يشوبه من مخالفات شرعية وما يرافقه من طبل وزمر وذلك بعد أن سيطر آل سعود على الحرمين

---

1 الصالحي، محمد بن كنان، يوميات شامية (صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني)، تحقيق أكرم العلبي دار الطباع دمشق د. ت. ص23؛ سوسي27

2 الجوخدار: هو أحد رجال أمير الحج ويُعرف بالجوقدار أو الجوخدار يسبق قوافل الحجاج إلى دمشق ليبشر أهلها بسلامة القافلة إذا عادت سالمة، أو يطلب إليهم النجدة إذا تعرضت للعدوان وهو ينفصل عن الركب في تبوك باتجاه دمشق في حراسة بعض الجنود متقدماً القافلة بسبعة أيام وفي إثر الجوخدار يكون الكَتَّاب – وهو شخص يكلفه أمير الحج – ليحمل كتب الحجاج إلى ذويهم فيصل إلى دمشق بعد الجوخدار بثلاثة أيام وقد يكون لدمشق ولكل من حماه وحلب كَتَّاب آخر. وفي إثر الكَتَّاب بعد يومين أو ثلاثة يبدأ وصول الحجاج إلى دمشق فيصلونها بين 2 و 5 صفر ويستمر دخولهم إلى المدينة نحو خمسة أيام، وفي إثرهم يدخل أمير الحج وسردار الجردة (http://www.marefa.org/index.php?title).

3 نعيسة 2/676-677سوسي27-28

4 رافق، "قافلة الحج" ص 10

5 البديري، احمد حوادث دمشق اليومية 1154-1175هـ/1741-1762، تحقيق احمد عزت عبد الكريم، القاهرة 1959، 11-12؛ السوسي، قافلة ص 57-58

6 سوسي29

الشريفين وقد سبق للسعوديين أن منعوا هذا المحمل سنة 1223 هجرية مما أدى إلى انقطاع الركب الشامي والمصري عن الحج متعللين بمنع السعوديين الناس من الحج [1].

ثالثا: المشاكل التي تعرّض لها الحجاج

كان الحجاج المتوجهين إلى الأماكن المقدسة يواجهون صعوبات كثيرة وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج. وكان على الركب الشامي المجتمع في دمشق، أن يقطع عددا كبيرا من المنازل، ويستغرق ذلك وقتا يقدر بخمسين يوما للذهاب، بالإضافة إلى وقت أداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ، وكذلك الإياب الذي يستغرق وقتا يقارب أربعة أشهر[2]. هذا بالإضافة إلى ما يتكبده الحجاج من مشاق السفر والتعرض إلى الإخطار الطبيعية والصعوبات والكوارث الكونية التي لا دخل للإنسان فيها، مثل الحر الشديد والبرد القارص، والصواعق المرعبة والزلازل المخيفة والسيول الجارفة[3]، والأوبئة والأمراض[4]، وعقبات الطريق والجوع والعطش0 فلم يكن الحج امرأ سهلا في العصور الإسلامية، وإنما كانت رحلة الحج محفوفة بالمخاطر. كانت الرحلة من دمشق إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج تستغرق ثلاثة شهور أو أكثر في الظروف العادية0 وقد يصادف موسم الحج في صيف قائض أو شتاء قارص، وفي كلتا الحالتين كان الحجاج يواجهون أحوالا صعبة، لم يألفوها، فكم من حاج مات على الطريق من الحر أو القر، وكم منهم من قضى عطشا أو جوعا أو مرضا، أو قتلا. كانت الرحلة شاقة، فالمسافة بين دمشق ومكة كبيرة، وكانت الرحلة تستغرق في أواخر العهد العثماني 342 ساعة سير مستمر[5].

كانت طريق الحج مملوءة بالمشقة والأخطار، لما كانت تلقيه الطبيعة في سبيل الحجاج من الشدائد التي كانت تفتك بسوادهم في الطريق من حر الصيف، وبرد الشتاء، وجفاف ماء الآبار في الصحراء الحارقة، ومداهمة السيول، بالإضافة إلى الغلاء الشديد الذي كان يتسبب عنه الكثير من المشاق والمجاعات التي تودي بالحجاج، وكانت الأعوام التي تعرض الحجاج فيها للكوارث الطبيعية كثيرة وعديدة [6].

واجه الحجاج صعوبات ومشاكل متعلقة بأمان الطريق جراء اعتداءات القبائل على قوافل الحج ونهبها وقتل أفرادها، أو تغوير المياه في الطريق، أو إلقاء الجيف والقاذورات فيها لحرمان الحجاج من الاستفادة منها، وكذلك الصراعات والفتن التي كانت تقوم بين القوى السياسية وإمارة الحج، أو بين أهل المذاهب والطوائف الإسلامية المختلفة، مما كان يعرض الحجاج لأوخم العواقب[7].

لا يوجد تاريخ محدد لبدايات الاعتداء على قوافل الحج في التاريخ الإسلامي[8]، فلا تشير المصادر إلى وقوع اعتداءات من القبائل أو الفرق المختلفة على الركب الشامي إلا بعد سنة 224هـ/ 839م[9]. وكانت أكثر المخاطر تقع داخل الأراضي الحجازية. فقد تعرض الحجاج لهجمات رجال القبائل في السنوات 228هـ/ 842م 245هـ و265هـ[10]. وكانت قبيلة بني سليم تشكل خطراً على الحجاج. ففي سنة 230هـ/ 844م قادهم عزيزة بن قتاب، وهاجموا أطراف المدينة، وأجزاء من مناطق الحجاز[11].

---

1 منير كيال، محمل الحج الشامي 06 -أغسطس200

(2) السوسي، **قافلة**، ص92.

(3) السوسي، **قافلة**، ص92؛ البديري، **الحلاق**، ص109، 236.

(4) السوسي، **قافلة**، ص92.

(5) درادكة، **طرق الحج**، ص247.

(6) ففي سنة 105هـ/ 723م هطلت أمطار، وحدثت صواعق شديدة أصابت الحجاج في مكة، وقتلت منهم أناسا كثر وهدمت بيوتا عديدة. وفي سنة 154هـ/ 770م سقطت صاعقة بمكة، قتلت خمسة أشخاص بالمسجد الحرام. وداهم مكة سيل في سنتي 202هـ/ 817، هدم دورا وتكرر السيل أيضا بعد ست سنوات محدثا أضرار كبيرة. درادكة، **طرق الحج**، ص248.

(7) درادكة، **طرق الحج**، ص248.

(8) غير أن العرب عرفوا مثل هذه الاعتداءات على قوافل التجارة، وقوافل المواسم الدينية قبل الإسلام وهذا ما دفع قريش إلى استحداث نظام الإيلاف لضمان أمن الطريق، بعقد الاتفاقات مع شيوخ القبائل التي تقع على طول طرق القوافل (صالح درادكة، **بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام**، عمان، مؤسسة شيرين، 1988م، ص116).

(9) مالكي، "طريق حجاج"، ص11.

(10) ابن الأثير، **الكامل** ، 78/6.

(11) الطبري، **تاريخ**، 129/9.

تعرض الحجاج لمشاكل متنوعة ومخاطر عديدة على الطريق (انظر فيما بعد) مثل هجمات اللصوص وقطاع الطرق أو اعتداءات القبائل عليهم. وكان للحجيج أساليب في التصدي لهذه المخاطر في تجنبها وتخفيف آثارها. من ذلك قد يضطر الحجاج إلى تغيير طريقهم سواء في الذهاب أو الإياب، إلى طريق إقليم آخر تجنباً لعدوان البدو أو حركات الثائرين على الدولة. ففي عام 415هـ/ 1024م عاد حجاج العراق عن طريق الشام، لعدم أمان طريقهم، كما رجع حجاج العراق في سنه 560هـ/ 1164م على غير طريقهم خوفاً من العرب، وتكررت هذه الحالة كثيراً أواخر القرن الخامس الهجري[1]. وازداد خطر قبائل حرب عنفاً على الحج الشامي، فقد اعتدوا على هذه الركب سنة 543هـ/ 1148م وأخذوا ما معهم من أموال وأمتعة ومنعوا عنهم الماء[2]. وفي سنة 553هـ/ 1159م حج الناس فلما وصلوا إلى المدينة المنورة أتاهم الخبر أن العرب قد اجتمعت لتأخذهم، فتركوا الطريق، وسلكوا طريق خيبر، وتحملوا مشقة عظيمة حتى نجوا من القبائل[3].

وقد يضطر أمير القافلة إلى استخدام أساليب متعددة للنجاة بالقافلة كأن يشتري سلامة القافلة بالأموال. فعندما حاولت الدولة العثمانية تأمين الحجاج من خلال محاربة القبائل التي تحاول الاعتداء عليهم، ولم تستطع أن تمنع هذه القبائل من التعرض للقافلة؛ برز دور أمير القافلة بتجنيبها المخاطر. ففي عام930هـ/ 1521م هاجم البدو القافلة بالقرب من منطقة العلا مما أجبر أمير القافلة على دفع الأموال لشيوخ القبائل مقابل حماية القافلة وكان ردت فعل الدولة العثمانية على ذلك أن خرج والي دمشق إياس باشا على رأس قوى إلى حوران لتأديب قبيلة الدرياع بن مهنا بعد أن قبض على أميرهم واتفق مع شيوخها على تسيير القافلة دون التعرض لها مقابل دفع الصرة لهم[4]. وفي سنة 302هـ/ 915م هاجم أعراب الحاجر الحجاج ونهبوهم. وتصدى والي عمان محمد بن طفج الأخشيد في سنة 306هـ/ 918م، لأعراب من لخم وغيرهم، أعدوّا كميناً لركب الحجاج القادم من الديار المقدسة، قاصداً الشام، فنهض إليهم الإخشيد وأوقع بهم وبدد شملهم0 وبذلك نجت قافلة الحج الشامي من هذا العدوان[5].

رابعا: جهود الدولة العثمانية في حماية وتأمين قافلة الحج

بدأ اهتمام الدولة العثمانية بقافلة الحج الشامي، بعد سيطرتهم على بلاد الشام عام 922هـ/ 1516م، حيث قام السلطان سليم الأول بتعيين جان بردي الغزالي نائبا لدمشق، لتولي أمور قافلة الحج، وتعرض بدو آل دغيم للحجاج عند تبوك عام 924هـ/ 1518م ولكنهم لم ينالوا من القافلة شيئا، بل صدوا عنها[6].

ويظهر أن الدولة العثمانية قد تنبهت إلى أهمية قافلة الحج و ضرورة تأمين الحجاج من خلال محاربة القبائل التي تحاول الاعتداء على القافلة، ولكن الدولة لم تستطع أن تمنع هذه القبائل من التعرض للقافلة؛ فبرز ضعف أمراء القافلة. ففي عام930هـ/ 1521م هاجم البدو القافلة بالقرب من منطقة العلا مما أجبر أمير القافلة على دفع الأموال لشيوخ القبائل مقابل حماية القافلة وكان ردت فعل الدولة العثمانية على ذلك أن خرج والي دمشق على رأس قوة إلى حوران لتأديب قبيلة الدرياع بن مهنا واتفق مع شيوخها على تسيير القافلة دون التعرض لها مقابل دفع الصرة لهم[7].

لكن هذا الأسلوب الذي اتبعه والي دمشق لم يمنع البدو من مهاجمة القافلة خاصة عندما كانوا يفشلون بالحصول على الصرة فكان يلجئون إلى أساليب أخرى للانتقام من الحجاج وما حصل عام 937هـ/ 1530م خير دليل على ذلك، فقد جرى صدام بين القافلة وأمير البدو

(1) الجزيري، **الدرر**، 340/1، 356.
(2) الجزيري، **الدرر**، 260/1.
(3) ابن الأثير، **الكامل**، 239/11.
(4) محمد ابن طولون، **إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق، دار الفكر، 1984م، ص246؛ إبراهيم الشرعة، "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين" **دراسات**، مج29، (2002م)، ع2، ص320.
(5) ابن خلكان، **وفيات**، 148/4؛ يوسف غوانمة، **عمان حضارتها وتاريخها**، عمان، دار اللواء للصحافة والنشر، 1979م، ص97.
(6) عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (1516–1798)**، ص118–119.
(7) محمد بن طولون، **إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق، دار الفكر، 1984م، ص246؛ الشرعة، "موقف القبائل..."، **دراسات**، ص320.

ملحم بالقرب من منزل ذات حج، ولكن ملحم فشل بالتغلب على القافلة، بسبب مقاومة الجنود المرافقين لها، وفر إلى تبوك حيث قام بقطع أشجار النخيل هنالك ووضعها في برك الماء، وكذلك وضع الحنظل المدقوق في الماء والهدف من ذلك هو منع الحجاج من الإفادة من مياه هذه البرك وكان هدفهم الضغط على أمير القافلة لدفع مخصصاتهم المالية وزيادة بعض الأموال وعلى ضوء هذه التطورات أضطر أمير القافلة بتحويل مسيرها إلى الطريق الغزاوي بدلا من الطريق السلطاني فعادت إلى دمشق دون حدوث أي مشاكل في الطريق[1].

وقد تنبهت الدولة العثمانية بعد الحادث السابق إلى ضرورة تعزيز الحاميات العسكرية الموجودة في منازل الحج، من أجل تامين سلامة برك الماء التي يشرب منها الحجاج، كما عملت الدولة على بناء قلاع جديدة في بعض المنازل، لتكون بمثابة مراكز أمنية تعمل على صد اعتداءات البدو. مثل قلعة المنزل الأخضر عام 938هـ/ 1532م، بأمر السلطان سليمان القانوني[2]، كدليل على اهتمام العثمانيين بقافلة الحج الشامي. واستمرت سلسة هجمات البدو على القافلة، حيث هاجم عامر شيخ بني عطية القافلة عام 963هـ/ 1555م؛ لان أمير القافلة رفض دفع الصرة المخصصة لقبيلته[3].

لم تقتصر الاعتداءات على القبائل البدوية في شرق الأردن بل تعدتها إلى قبائل فلسطين التي كانت تهاجم القافلة فلذلك أدرك العثمانيون خطورة هذه القبائل، ففكروا بعدة حلول لمواجهة هذه المشاكل ومن أبرزها.

أولا: إعادة توطين البدو وخاصة في فلسطين الذين يهاجمون القافلة ولكن هذا الأسلوب لم ينجح لان نجاحه يحتاج إلى ميزانية كبيرة تتحمله خزينة الدولة بالإضافة إلى كادر إداري من الموظفين.

ثانيا: التعاون بين شيوخ القبائل البدوية من جهة والموظفين العثمانية من جهة أخرى في بعض المناطق، لذلك تم تكليف بعض شيوخ القبائل للدفاع عن طريق الحج وحماية القافلة، لكن هذا التعاون لم يستمر طويلا لأنه لم يكن فعالا، فالدول العثمانية لم تكن قادرة على إلزام الشيوخ في كل بنود الاتفاق[4].

ابتداءً من عام 989هـ/ 1581م حاولت الدولة العثمانية ردع القبائل البدوية القريبة من طريق الحج خاصة في منطقة حوران لكنها فشلت في تحقيق هذا الهدف، إذ لم يتغير الوضع عما كان عليه سابقا فعندما كثرت اعتداءات القبائل على القافلة في القرن السادس عشر اضطرت الدولة لدفع مبلغ سنوي لشيوخ هذه القبائل كان يطلق عليه اسم الصرة. مع ذلك فشلت الدولة في منع اعتداءات البدو على القافلة مما أدى إلي تضرر مصالحها واهتزاز هيبتها الأمر الذي دفع بعض السلاطين العثمانيين بالاهتمام بالقافلة من جديد[5].

يلاحظ من اعتداءات البدو السابقة إن امتناع أمراء القافلة عن دفع مخصصات البدو السنوية كان السبب وراء هذه الاعتداءات في حالات كثيرة، وكانت بعض القبائل حينما تحرم من هذه المخصصات تلجئ إلى أساليب أخرى كقطع الماء عن الحجاج كما حدث في منزل عنيزة[6]. وتكرر هذا الأسلوب في الأعوام اللاحقة حين هاجم أمير حوران ابن رشيد القافلة التي يقودها الأمير ابن تركمان سنه1082هـ/ 1671م ونهبوا أكثر الحجاج وسدوا عليهم الآبار في مدائن صالح[7]. ويبدو أن اعتداء ابن رشيد على القافلة وقتل أميرها ابن تركمان قد أثار اهتمام السلطات العثمانية، فقد عينت أميرا للقافلة ورافقه والي دمشق للضرب على أيدي القبائل التي تفكر بالاعتداء على القافلة ولتأمين سلامة الحجاج[8]. وابتداءً من عام 1082هـ/ 1671م، أخذ والي دمشق يتولى إمارة القافلة وحتى عام1283هـ/

(1) إبراهيم محمل، **المحمل، رحلات شعبية في وجدان امة**، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، 1993م، ص26؛ الشرعة، "موقف القبائل..."، **دراسات**، ص320.
(2) رافق، **بلاد الشام**، ص156.
(3) Bakhit, Muhammad, **The ottoman Province of Damascus in the sixteenth Century**, Beirut 1982, p.223.
(4) الشرعة ، **دراسات**، ص321.
(5) محمد الأرناؤوط، **معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر**، دمشق، دار الحصاد، 1993م، ص22.
(6) الخياري، **تحفة**، 83/1.
(7) محمد بن عيسى بن كنان، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، تحقيق حكمت إسماعيل، دمشق وزارة الثقافة، 1992م، ص66.
(8) رافق، **بلاد الشام**، ص226.

1866م[1].

وبالرغم من تعيين والي دمشق أميرا للقافلة، إلا أن اعتداءات القبائل تكررت، مثلما حصل عام 1084هـ/ 1674وعام 1101هـ/ 1690م، وعام 1088هـ/ 1677م حيث اعتدى البدو على القافلة المكلف بحمايتها من قطاع الطرق وأعراب الحجاز أمير مكة الشريف يحيى بن بركات[2].

وخلاصة القول شهدت الفترة الواقعة ما بين القرن السادس عشر وأواسط القرن الثامن عشر، صراعاً مريراً بين القبائل البدوية الشامية والحجازية والدولة العثمانية. وتمثل ذلك الصراع في حالات كثيرة، حول حماية قافلة الحج الشامي من اعتداءات هذه القبائل المتكررة، بسبب الخلاف ما بين أمير القافلة وزعماء القبائل، فيما يتعلق بالأموال التي كانت تدفع للبدو من السلطات العثمانية، وحرمانها من نقل المؤن، وتقديم الحماية وبعض الخدمات للحجاج في المنطقة الواقعة ما بين دمشق والأماكن المقدسة[3]. وقد اتبعت الدولة العثمانية في علاقتها مع البدو، سياسة القمع في بعض الأحيان، والمهادنة في أحيان أخرى. وكثيراً ما كانت الدولة العثمانية تكلف ولاتها في الشام، بمجابهتهم وردع فسادهم بالقوة، وتوجيه حملات تأديبية ضدهم[4]. وكانت تقوم بتعيين واحد منهم يكون بمثابة صلة الوصل بينها وبين مختلف القبائل البدوية، ويُطلق عليه اسم شيخ عربان الشام. كما أنها سجلت تلك القبائل وحددت أماكنها وفرضت على بعضها مالاً، إلا أنها بالمقابل كانت تدفع قدراً من المال (الصر) للقبائل الكبيرة والمتنفذة على طريق الحج[5].

منذ بداية القرن السابع عشر تنبهت الدولة العثمانية إلى أهمية سلامة قافلة الحج ومدى خطورة اعتداءات القبائل البدوية عليها لذلك تم تعيين أمراء أقوياء لقيادة القافلة، أبرزهم الأمير محمد بن فروخ الذي تولى إمارة القافلة لعشرين عاما حيث عمل على تامين سلامة القافلة فارهب القبائل البدوية وبلغ رغبته في قلوب العربان حد أنهم يخوفون أولادهم بذكر اسمه. وكان لهذه السياسة المتمثلة بتعيين أمراء أقوياء اثر كبير للحد من تجاوزات البدو. إذ لم يتم تسجيل أي حادث خلال النصف الأول من القرن السابع عشر. غير إن هذا الهدوء لم يستمر طويلا حيث عادت هذه القبائل إلى تهديد القافلة. فقد هددت قبيلة المفارجة القافلة إثناء مرورها في منطقتها، ويبدو إن السبب لعدم حصولها على الصرة في الوقت الذي حصلت عليه قبائل أخرى مما سبب لديها كراهية للمسؤولين العثمانيين ولجأت إلى مهاجمة القافلة، إلا إن هجومهم لم يتم بسبب وقوف بعض القبائل الأخرى بجانب القافلة وحمايتها[6].

كان لبعض القبائل دور كبير في حماية قافلة الحج وتقديم العون لها، فقد أيقنت الدولة العثمانية واعتبارا من نهاية القرن السابع عشر[7] أهمية توطيد علاقتها بالقبائل الكبرى القاطنة في طريق قافلة الحج مثل قبيلة عنزة التي أخذت تزود الحجاج بالجمال، وحماية الحجاج وحفظ الأمن خلال مسير القافلة مقابل دفع الصرة[8]. وعملت الدولة على تقوية علاقتها مع قبيلة بني صخر، حيث إفادة الدولة من الخدمات التي كانت تقدمها هذه القبيلة لقافلة الحج مقابل مبلغ ثابت من النقود[9]. وأخذت الدولة تعين احد شيوخ القبائل زعيما عاما لهذه القبائل بهدف استرضائها ومهادنتها وأطلقت عليه اسم شيخ عربان الشام ليكون صلة الوصل بينها وبين القبائل البدوية في المنطقة[10].

وقد استخدمت الدولة العثمانية وسائل مختلفة في تأمين قافلة الحج كالحاميات الدائمة والدوريات في منازل الحج، و الحاميات

---

(1) عوض، **الإدارة**، ص87.
(2) حلمي، **المحمل**، ص27.
(3) إبراهيم الشرعة، "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، **الدارة**، (1426)، ع4، ص35-36.
(4) رافق، **بلاد الشام**، 155-156.
(5) السوسي، **قافلة**، ص119.
(6) إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري، **تحفة الأدباء وسلوة الغرباء**، تحقيق رجاء السامرائي، بغداد، وزارة الثقافة، 1/81-8.
(7) ابتداء من عام 1110هـ/ 1699م.
(8) Barbir, K. **Ottoman Rule in Damascus 1708–1758**, Princeton 1980, p.104; الشرعة، "موقف القبائل..."، **دراسات**، ص326.
(9) Rafeq, Abdul-Karim,The Province of Damascus 1723-1783, Beirut 1960, p.71.
(10) Barbir, Ottoman, p.105.

المرافقة لقوافل الحج

زودت بعض المنازل على الطرقات بقوة امن خاصة، مهمتها الحفاظ على امن الطرق وحماية القوافل المتجه إلى مكة ومثال ذلك عمّان التي امتازت في العصر الأموي بقلعتها الحصينة، وكانت على درجة كبيرة من الحصانة والمنعة وانتشرت شهرتها في الآفاق[1].

واهتم سلاطين العثمانيين ببناء سلسلة من القلاع، على طول درب الحجّ، ابتداءً من المزيريب، جنوب دمشق، حتى المدينة المنّورة. وكانت مهمة الجنود حماية القلاع وبرك المياه التي كانت منتشرة على طول درب الحجّ، ومساعدة أمير الحج الشامي في جميع المحطات والمنازل التي يستريحون فيها[2].

وقد تنبهت الدولة العثمانية إلى ضرورة تعزيز الحاميات العسكرية الموجودة في منازل الحج، من أجل تامين سلامة برك الماء التي يشرب منها الحجاج، كما عملت الدولة على إنشاء الخانات والقلاع والحصون والأبراج على طول الطريق، لتصبح محطات لراحة الحجاج، ومركزا لتخزين المؤن والمياه التي يحتاجونها. وبناء قلاع جديدة في بعض المنازل، لتكون بمثابة مراكز أمنية تعمل على صد اعتداءات البدو. مثل قلعة المنزل الأخضر عام 938هـ/ 1532م، بأمر السلطان سليمان القانوني[3]، كدليل على اهتمام العثمانيين بقافلة الحج الشامي[4].

ونتيجة لتزايد خطر القبائل على القافلة وحجاجها، فقد أمر السلطان سليمان القانوني عام 967هـ/ 1560م نائب دمشق بان يقوم بالإجراءات اللازمة لبناء قلاع جديدة في طريق القافلة وتعيين سنجق لكل قافلة حيث تم بناء عدة قلاع في كل من مزيريب والقطرانة ومعان وذات حج وتبوك[5] لحماية برك الماء والمحافظة على سلامة الحجاج حين نزولهم في هذه المنازل ولتقليل من الاعتداءات البدوية على القافلة.

وكانت الدولة العثمانية تسعى بكل السبل لتوفير النواحي المالية للقافلة الأمر الذي تطلب من نائب دمشق أن يوفر مبالغ كبيرة لتسيير القافلة وإن يوفر لها الحماية، فقد كانت الدولة تنفق مبالغ كثيرة على القافلة كحراسة القافلة وتامين سلامتها كالأموال التي تدفع إلى بعض شيوخ القبائل مقابل حماية القافلة وأجور الجمال التي كان يتم الاستعانة بها لنقل الحجاج إلى الأماكن المقدسة. والبعض الآخر من الأموال كانت تنفق على الجنود وموظفي القافلة الذين يرافقونها خلال موسم الحج. فقد بلغ نفقات قافلة الحج الشامي لثلاثة أعوام في نهاية القرن السادس عشر (15308,049) اقجة[6].

إن الاعتداءات المتكررة ضد القافلة في شرق الأردن دفعت العثمانيين إلى التفكير جديا في إنشاء لواء في معان والكرك بين عامي 1891-1894م من أجل تحقيق أمر سلامة قافلة الحج والحد من اعتداءات البدو بالإضافة على توفير مبالغ مالية كانت تدفعها الدولة للقبائل البدوية مقابل حماية قافلة الحج على طول الطريق بين دمشق ومعان، وذلك ببسط السيطرة على تلك المنطقة[7]. وقد تغير تعامل الدولة العثمانية مع هذه القبائل بعد إنشاء اللواء حيث سعت الدولة إلى توطيد العلاقة مع البدو بعد هذا الإنجاز الإداري فخصصت رواتب سنوية لبعض شيوخ القبائل لكسب رضاهم وللمحافظة على سلامة القافلة أثناء مرورها في مناطقهم[8].

بقيت مشكلة تأمين القافلة قائمة عند الحكومة العثمانية خاصة عند اقترابها من الديار المقدسة. وفي المنطقة الواقعة بين المدينة المنورة وينبع أغلقت قبيلة حرب الطريق لمدة ثمانية أشهر عام 1314هـ/ 1897م مما أدى إلى ارتفاع بعض أسعار السلع الضرورية. وقد خصصت

---

(1) غوانمة، **عمان**، ص81.
(2) السوسي، **قافلة**، ص51.
(3) رافق، **بلاد الشام**، ص156.
(4) Bakhit, Muhammad, **The ottoman Province of Damascus in the sixteenth Century**, Beirut 1982, p.223.
(5) نجم الدين الغزي ، **الكواكب السائرة بأعين المئة العاشرة**، تحقيق جبرائيل جبور، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979م، 157/3.
(6) الشرعة، "موقف القبائل..."، **دراسات**، ص322-323.
(7) Engin Deniz AKarli, "Establishment of the Ma'an-Karak Mutasarrifiyya", **مجلة دراسات**، الجامعة الأردنية م13، (1986م)، ع1، ص31.
(8) الشرعة ، "موقف"، **الدارة**، ص49-50.

الدولة العثمانية قوة عسكرية مسلحة رافقت القافلة وكان هدفها التصدي لأي اعتداء تقوم به قبيلة حرب ضد القافلة. وأعلنت قبيلة الحويطات عام 1315هـ/ 1898م العصيان ضد العثمانيين بسبب امتناع الأخير عن دفع المرتبات التي كانت تدفعها لشيوخ الحويطات في الوقت الذي قل مردود قافلة الحج الشامي على القبائل البدوية بعد فتح قناة السويس بعد أن أصبح الحجاج يحجون بحرا[1].

بالإضافة إلى الحاميات الدائمة والدوريات في منازل الحج استخدمت الدولة العثمانية وسائل أخرى لحماية قافلة الحج، وهي الحاميات المرافقة لقوافل الحج. فقد حرصت الدولة على تشكيل حاميات من الجند أو الحرس ترافق الحجيج لتقوم بحراستها من أي اعتداء قد تتعرض له. فكانت من الأولويات الأساسية التي وضعها الدولة العثمانية نُصب أعينهم منذ حكمهم لبلاد الشام[2]. لذلك كانت الحكومة العثمانية تعين أميراً للحج يصحب معه عدداً من الجنود والمدافع. وكان والي دمشق يقوم بمهمة أمير الحج مكلفا من السلطان العثماني للسهر على أمن القافلة وقيادتها بنفسه مع قوة عسكرية ومرتزقة لحمايتها من تعديات البدو وهذه كانت من أخطر المسؤوليات التي تسند إلى الوالي.

إن منصب أمير قافلة الحج منصب مسؤول وله مكانته. ولم يكن يعين فيه في العصر المملوكي، سوى الأمراء الذين يحملون رتبة أمير مائة، وهو أعلى منصب في جيش المماليك. ففي سنة 681هـ حج بأهل الشام الأمير بدر الدين بن عبد الله الصواني[3].

وحرصت الدولة العثمانية على تعين أمير للحج كل عام، يخرج على رأس القافلة[4] من أحد الأمراء المحليين من حكام صناجق: غزة وعجلون وعجلون أو اللجون، أو نابلس أو صفد أو القدس، التي كانت تتبع ولاية الشام. أما في القرن السابع عشر، فقد تم تعيين أمراء القافلة من أبناء الأسر النبيلة، أو من ضباط الانكشارية، لملء الفراغ الذي خلفه ضعف القوى المحلية. وكان أمراؤها في هذه الفترة، حكاما على صنجق أو أكثر من صناجق الشام. وذلك ليتمكنوا من جمع الضرائب، لتغطية نفقات القافلة[5].

واعتباراً من عام 1082هـ/ 1671م وحتى عام1283هـ/ 1866م تولى والي الشام إمارة الحج. يذكر عبد العزيز عوض[6] أن الدولة العثمانية أُسندت إمارة الحج إلى والي دمشق بعد أن كانت تعهد به لحاكم نابلس وعجلون تقديراً من الدولة لأهمية الخطر.

ومن التطورات التي طرأت على تعيين والي دمشق أميرا للحج، استمراره في منصبه طالما يؤمن سلامة القافلة. ولهذا شهدت دمشق منذ عام 1120هـ/ 1708م استمرار ولاتها في الحكم سنوات عديدة خلافا للفترات السابقة. وهذه كانت من أخطر المسؤوليات التي تسند إلى والي دمشق لأنه بمقدار ما ينجح في هذه المهمة بمقدار ما يستقر في منصبه. وقد قدرت الدولة خطورة هذه المسؤولية فكانت تتخير لولاية دمشق كبار رجالاتها حتى أنها مدّت في ولاية أسعد باشا العظم أربعة عشر عاما لنجاحه بالقيام في مهمة إمارة الحج على خير وجه خلافا لما جرت عليه سياستها في الإكثار من تغيير الولاة. ذلك أن قافلة الحج خلال فترة إمارة أسعد باشا لم تتعرض لأي عدوان[7]وقد أدى ذلك ذلك إلى إطالة حكم الولاة من آل العظم[8]الذين امّنوا سلامة القافلة وحكموا دمشق مدة خمسين سنة متقطعة في القرن الثامن عشر وبداية وبداية التاسع عشر[9].

وقد استمر ولاة دمشق يُعينون أمراء للحـج حتى عام1283هـ/ 1866م. عندما رأت الدولة أن غياب الوالي عن مقر ولايته، مصحوباً بعدد كبير من جند الولاية بضعة أشهر من كل عام، يؤدي إلى اضطراب الأمن في المدينة، قررت الفصل بين منصبي والي الشام وأمير

(1) سليمان موسى، **رحلات في الأردن وفلسطين**، عمان، دار ابن رشد، 1984م، ص162-163.
(2) نوفان الحمود، **العسكر في بلاد الشام**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1981م، ص101.
(3) الجزيري، **الدرر**، 381/1.
(4) السوسي، **قافلة**، ص43؛ رافق، "قافلة الحج"، **دراسات تاريخية**، ص7.
(5) السوسي، **قافلة**، ص 44؛ رافق، "قافلة الحج"، **دراسات تاريخية**، ص 100.
(6) عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914**م، القاهرة، دار المعارف، 1969م، ص87.
(7) منير كيال، **محمل الحج الشامي**، 2006م، ص1.
(8) البديري، **حوادث**، ص43.
(9) السوسي، **قافلة** ص44؛ رافق، "قافلة الحج"، **دراسات تاريخية**، ص100.

الحج[1]. وحين فصل المنصبان، عهد بالأمارة إلى قائد قوات (الباش بوزوق) الذي أصبح يعرف بمحافظ الحج، وفي الفترة ما بين 1283-1335هـ/ 1866-1916م، تم اختيار أمير القافلة من أغوات الأكراد في دمشق، من أُسر أجليقين (محمود باشا) وبوظو (محمود باشا بوظو) وشمدين، واليوسف[2].

وهكذا نرى أن تبدل أمير الحج الشامي خلال أربعة قرون من الحكم العثماني، قد فرضته التطورات السياسية في بلاد الشام، وتبدُّل الأوضاع العامة في الدولة العثمانية[3].

وكانت قافلة الحج تحتاج إلى كثير من الجنود لتأمين الحماية لها بسبب حجمها الكبير. لذلك أصدرت الحكومة العثمانية أوامرها إلى كل والٍ من ولاتها، بحماية القافلة أثناء مرورها في حدود منطقته، أو مرافقتها حتى مكة المكرمة، إذا اقتضى الأمر، فكان على والي أذنه (أضنه)، تأمين سلامة الحجاج حتى نهاية حدود ولايته، وكذلك والي حلب. فمثلاً، في عام 1243هـ/ 1827م، وبأمر سلطاني، تم تكليف ثلاثمائة عسكري من حلب، لمرافقة القافلة أثناء ذهابها وإيابها. وإذا ظهر أيّ إهمال من قبل هؤلاء الجنود، نال المخالف عقوبته. كما نُظّمت أعداد" من فئات عساكر (باش بوزوق) أي عساكر غير نظاميّين، ليقوموا بحفظ النظام بين الحدود وإيصال الحجاج حين عودتهم إلى دورهم بطمأنينة وسلام. وكان على الدولة تأمين المؤن اللازمة للجنود المرافقين للمحمل الشريف والحجّاج من دمشق إلى الحجاز وكذلك لخيولهم وجمالهم.

وخلاصة القول بذلت الدولة العثمانية جهودا كبيرة في المحافظة على قافلة الحج وانتظام سيرها بأمان وسلامة أفرادها عبر سفرهم الطويل في الذهاب والإياب مرورا بمنازل الحج على طول الطريق بين دمشق ومكة المكرمة، وجعلوا من أولويات مسؤولياتهم، الحفاظ على القافلة، والاستمرار في إرسالها إلى الأماكن المقدسة سالمة، حفاظا على سمعة السلطان العثماني كحاكم للحرمين الشريفين. وذلك عن طريق إتباع الأساليب المختلفة في تنفيذ هذا الهدف ، من خلال الاهتمام بطرق الحج ومنازله وتوفير وسائل الراحة والأمان وعن طريق توفير الحراسة التي ترافق القافلة أو عن طريق الاتفاق مع القوى التي كانت تسيطر على طرق الحج وخاصة القبائل. وقد اتبعت الدولة العثمانية في علاقتها مع هذه القبائل، سياسة القمع في بعض الأحيان، والمهادنة في أحيان أخرى. وكثيراً ما كانت الدولة العثمانية تكلف ولاتها في الشام، بمجابهتهم وردع فسادهم بالقوة، وتوجيه حملات تأديبية ضدهم. وكانت تقوم بتعيين واحد منهم يكون بمثابة صلة الوصل بينها وبين مختلف القبائل البدوية (شيخ عربان الشام). كما أنها سجلت تلك القبائل وحددت أماكنها وفرضت على بعضها مالاً، إلا أنها بالمقابل كانت تدفع قدراً من المال (الصر) للقبائل الكبيرة والمتنفذة على طريق الحج.

(1) البديري، **حوادث**، ص76.
(2) وعينت قائد الجندرمة أميراً أو محافظاً للحج. وكان قائد الجندرمة عادة من الضباط الأكراد من بيوت معينة.
(3) السوسي، **قافلة**، 46.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن المكرم (ت630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، د. ت.
الأرناؤوط، محمد ، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، دمشق، دار الحصاد، 1993م، ص22.
ابن الفقيه، أحمد بن إبراهيم (ت334هـ/945م)، البلدان، تحقيق دي خويه بريل ليدن 1884
ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة 1984
ابن طولون، شمس الدين محمد (ت953/1546)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1962
ابن طولون، محمد (ت 953هـ)، إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد احمد دهمان، ط2، دار الفكر، دمشق 1984
طولون، محمد ابن ، إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق، دار الفكر، 1984م
ابن هشام عبد الملك المعافري ، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة 1955
ابن ميسر، محمد بن علي، تاريخ مصر، المعهد الفرنسي، القاهرة 1919
ابن واصل ، جمال الدين محمد، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب
ابن واصل، جمال الدين، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1960
أبو شامة، شهاب الدين عبد الله، تراجم القرنين السادس والسابع (الذيل على الروضتين)، تحقيق عزت العار، دار الجيل، بيروت 1974
الأرناؤوط، محمد، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر، دار الحصاد، دمشق 1993
أيوب، إبراهيم، التاريخ العباسي، الشركة العالمية للكتاب بيروت 1989
البديري ، احمد حوادث دمشق اليومية 1154-1175هـ/1741-1762، تحقيق احمد عزت عبد الكريم، القاهرة 1959، ودار سعد الدين ط1، دمشق1997
البرزنجي، جعفر، النفح الفرجي في الفتح الجته جي، مخطوط رقم 8724، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية
بيطار، أمينة، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، دار القلم والكتاب، الرياض 2000
التهامي، محمد، "الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية" مجلة الدارة ع6 1985
الجميلي، رشيد، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، ط1، مكتبة المعارف، 1984
الجميلي، رشيد، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة دار المعارف، الرباط 1984
حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ط13، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة 1991
حقي، إسماعيل وجارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة خليل علي مراد، مركز دراسات الخليج، البصرة 1957
الحمود، نوفان، العسكر في بلاد الشام، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1981
الحمود، نوفان، عمان وجوارها خلال الفترة 1281-1340هـ، منشورات بنك الأعمال، ط1، عمان 1996
خرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز، اربد 1999
خليفة بن خياط (ت240هـ/854م)، تاريخ، تحقيق أكرم العمري ط2، دار طيبة، الرياض 1985
الخياري، إبراهيم بن عبد الرحمن، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق رجاء السامرائي، وزارة الثقافة، بغداد
الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، د. ت. 1945

رافق، عبد الكريم، "قافلة الحج الشامي"، مجلة دراسات تاريخية، ع6، 1984
رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون، دمشق 1974
رافق، عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت (1516-1798)
زنجير، محمد رفعت ، في الطريق إلى مكة المكرمة
السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تأريخ الدولة العربية الإسلامية، الموصل، جامعة الموصل، السرحان، علي كامل حمزة، "إمارة الحج العراقي في عهدي حسن باشا واحمد باشا (1704-1747)"، مجلة مركز بابل، مج2 ع1، 2012، ص 92-120
السوسي، لورنس الحسن البرهو ، قافلة الحج الشامي وآثارها الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام (1220-1327هـ/1805-1909م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق 2007
الشافعي، الأم، القاهرة 1968
الشرعة، إبراهيم "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، الدارة، (1426)، ع4، ص 35-65.
الشرعة، إبراهيم، "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي في القرنيين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين" دراسات، مج29، ع2، 2002، ص319-320
صابان، سهيل ، "مخصصات القبائل العربية من واقع الصرة العثمانية لعام ١١٩٢ هـ /١٧٧٨ م "، مجلة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، ع٢٠، 1428-
الصالحي، محمد بن كنان (ت1153هـ/1740م)، يوميات شامية (صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني)، تحقيق أكرم العلبي دار الطباع دمشق د. ت.
الصالحي، محمد بن كنان (ت1153هـ/1740م)، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة ، دمشق1992
صالح درادكة، "طرق الحج الشامي في العهد الأموي"، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العصر الأموي) 1987
صالح درادكة، طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية عمان 1977
الصالحي، محمد بن كنان، يوميات شامية (صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني)، تحقيق أكرم العلبي دار الطباع دمشق د. ت
الصباغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، دمشق ١٩٨٢
الصباغ، ليلى، معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، المطبعة الجديدة، دمشق، 1982
الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة 1997
عبد القادر بن محمد الجزيري (ت977هـ/1569م)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن إسماعيل، 2ج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2002
العبدري، أبو عبد الله، الرحلة المغربية، الرباط 1968
عمر، سميرة فهمي علي ، إمارة الحج في مصر العثمانية، (923-1213هـ/ 1517-1798) ، دار الكتاب العربي القاهرة ، ٢٠٠١
عوض، عبد العزيز محمد ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، دار المعارف القاهرة 1969
الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، ط2، دار الآفاق الجديدة بيروت
غوانمة، يوسف، عمان حضارتها وتاريخها، دار اللواء للصحافة والنشر، عمان 1979

كيال، منير، محمل الحج الشامي، 6 أغسطس2006
مالكي، سليمان عبد الغني، "طريق حجاج الشام ومصر منذ الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن السابع الهجري"، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ع1 السنة 1984
محمل، إبراهيم، المحمل، رحلات شعبية في وجدان امة، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1993
المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ/956م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، مكتبة السعادة ، القاهرة 1964
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (845هـ/1441م)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1955
المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1973م
الملك الأشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم دار البيان بغداد ودار التراث الإسلامي 1975
موسى، سليمان ، رحلات في الأردن وفلسطين، عمان، دار ابن رشد، 1984
نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة بأعين المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1979م
نعيسة، يوسف، مجتمع مدينة دمشق1186-1772/1256-1840، ط2، دار طلاس، دمشق 1994
ابن هشام، عبد الملك المعافري ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، مكتبة مصطفى البابي ، القاهرة ١٩٥٥
اليعقوبي، احمد بن واضح (ت292هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، النجف 1964

2.المراجع الأجنبية

Abdullah al-Wohaibi, The Northern Hijaz in the writing of the Arab Geographers, Beirut 1973.
Bakhit, Muhammad, The ottoman Province of Damascus in the sixteenth Century, Beirut 1982
Barbir, K. Ottoman Rule in Damascus 1708-1758, Princeton 1980
Doughty, Charles Montagu,Travels in the Arabia Desert, Great Britain, 1876
Engin Deniz AKarli, Establishment of the Ma'an-Karak Mutasarrifiyya, مجلة دراسات م13، ع1، الجامعة الأردنية 1986
http://alsahra.org/?p=1024
http://www.marefa.org/index.php?title
https://ar.wikipedia.org/استعمار
Lewis, N. Nomads and settlers in Syria and Jordan, 1800-1980, Cambridge press, London 1987
Rafeq, Abdul-Karim,The Province of Damascus 1723-1783, Beirut 1960